الأهرام

المصدر : المصور
التاريخ : ٢٤ مارس ٢٠٠٠

اعتذار البابا لمن ؟

نداء بابا روما أيها العالم .. صفحاً وغفراناً

●● يوم الأحد ١٢ مارس عام ٢٠٠٠ ، فى كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان أقام قداسة البابا يوحنا بولس الثانى صلاة خاصة فى مناسبة بدء الصوم الأربعينى أو الصوم الكبير ، شارك فى الصلاة كرادلة الكنيسة الكاثوليكية (سبعون كردينالا) وعدد غفير من الأساقفة والكهنة من بلاد عديدة ، فى حضور عشرات الألوف من الكاثوليك وألقى قداسة البابا خطاباً تحت عنوان «ذكرى ومصالحة» ، وهو نداء من رأس الكنيسة الكاثوليكية (التى تمثل مليار كاثوليكى فى العالم وتضم أربعة آلاف أسقف ومليونين من الكهنة والرهبان والراهبات) ●●

□ وهذا النداء (الوثيقة) الذى جاء بعد طبعه ونشره فى مائة صفحة ومقسم لسبعة أجزاء وله مقدمة قصيرة ذات فقرات سبع وهذه المقدمة كانت خطاب البابا أثناء الصلاة.

والفقرات السبع التى جاءت فى الخطاب هى:

● إقرار بالخطايا التى ارتكبت فى الماضى ملتمسين نعمة توبة نصوح .

● إقرار بالأخطاء التى وقعت خلال العمل وخدمة الحقيقة .

● إقرار بالخطايا التى مزقت وحدة المسيحية .

● إقرار بالأخطاء التى وقعت فى العلاقات مع شعب إسرائيل .

● إقرار بالأخطاء التى جرحت المحبة والسلام وحقوق الشعوب والتى أساءت إلى الثقافات والأديان الأخرى .

● إقرار بالخطايا التى أصابت كرامة المرأة ووحدة الجنس البشرى .

● إقرار بالخطايا التى ارتكبت ضد الحقوق الجوهرية للشخص البشرى .

تلك هى العناصر الأساسية للوثيقة ثم تأتى الصفحات بعد ذلك لتعمق فهمها وتوضيحها كما تشير إلى الحروب الصليبية وما تركته من آثار مدمرة على النفوس ولم تزل جذورها السامة متغلغلة فى أعماق ووجدان الشرق والغرب .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

منذ فجر الألف الثالث للميلاد وقداسة البابا الرومانى ، يفاجىء العالم بسلسلة من الاعتذارات الكنسية ، ثم يوجه خطاباً للعالم أجمع كما حدث فى خطابه أول يناير عام ٢٠٠٠ وهو يوم السلام العالمى ، يطرح فيه البابا رؤيته للمسيرة البشرية كرئيس أقدم وأقوى مؤسسة دينية عبرت ألفى سنة ولم تزل تتوهج بالقوة والحيوية وتؤدى دوراً مؤثراً ، عميقاً فى المجتمع الإنسانى ، فى خطابه أشار إلى نقاط مهمة وهى : بالحرب تخسر البشرية الدعوة لكى تصبح البشرية أسرة واحدة ، الجرائم التى ترتكب فى أى مكان إنما ترتكب ضد جميع البشر ، كل إنسان له حق شرعى فى طلب عون أخيه الإنسان ، المنظمات الإنسانية لابد أن تكون ضمن شرعية الأمم المتحدة ، سلام العالم فى تضامنه ، ينبغى النظر فى النظام الاقتصادى العالمى ، الاقتصاد هدفه خدمة التنمية فى المجتمعات الإنسانية ، المسيح هو هبة السلام للعالم ، الالتزام بلا حدود من أجل السلام .

وتوالت خطابات البابا تحث المجتمع الدولى على احترام الشعوب والثقافات والأديان ، وسعى إلى أن يحج للأراضى المقدسة التى كتب على رمالها التاريخ المسيحى . أبدى رغبته فى السير على درب أبينا إبراهيم عليه السلام الذى انطلق من أرض عربية (العراق) إلى فلسطين ، ولكن عقبات حالت دون تحقيق رغبته ، فسعى للحج إلى سيناء ، أرض القمر ، ومهبط الوحى الأول، وكاتمة أسرار التاريخ المقدس ، ورمالها المقدسة المخضبة بدماء الشهداء المطهرة بمسيرة العائلة المقدسة ، وكانت زيارته لمصر ، وبخاصة زيارته للأزهر الشريف إعلاناً عالمياً ، بدور مصر ، وبرسالة الإسلام فى عالم يحتاج إلى كل مؤمن وإلى كل قيمة روحية ، ويمضى البابا قدما للحج إلى بيت المقدس (٢٦ مارس عام ٢٠٠٠) بعد أن وقع اتفاقاً خطيراً مع ياسر عرفات والفلسطينيين وأخطر مافى هذا الاتفاق أنه يتضمن دون صراحة الاعتراف بدولة فلسطينية قبل أن تولد ملامح هذه الدولة، كما تضمن الاتفاق إعلاناً بأن القدس الشرقية أرض محتلة وأن الحكم فى ذلك كله قرارات الأمم المتحدة ، وأن القدس قبل أن تكون موقعاً جغرافياً فهى موقع روحى فى الأديان المقدسة ومناخ تصوف ونسك .

لقد أثار البابا حيرة المفكرين وأرباب السياسة وعلوم الاجتماع ، بالوثائق التى ينشرها بكل اللغات الحية وبالطبع باللغة العربية منذ توليه قيادة الكنيسة الكبرى فى العالم .

من هذه الوثائق : فى ذكرى الحرب العالمية الثانية نشر عام ١٩٨٩ بعد خمسين عاما من نهاية حرب راح ضحيتها ستون مليونا من البشر ، وثيقة إلى شباب العالم عام ١٩٨٩ ، حول وسائل الإعلام عام ١٩٩٢ ، القيم الأخلاقية الأساسية للمسيحية عام ١٩٩٣ ، رسالة إلى نساء العالم عام ١٩٩٥ ، الإنسان والجنس : حقيقة ودلالة عام ١٩٩٥ ، قيمة الحياة الإنسانية عام ١٩٩٥ ، وثيقة هزت الأوساط الفكرية فى العالم وهى بعنوان : العلاقة بين الايمان والعقل عام ١٩٩٨ ، وثيقة فى الإصلاح الزراعى عام ١٩٩٧ ، كرامة المسنين عام ١٩٩٨ ، اللاجئون فى العالم عام ١٩٩٢ ، التجارة العالمية للأسلحة عام ١٩٩٤ .

وبهذه الوثائق التى أصدرها البابا كأنه يود أن يوجه العالم إلى شىء ما ، أو كأنه يود أن يزرع فى العالم بذوراً جديدة هى بذور التضامن والمحبة والسلام ، يبقى الآن أن نتساءل ما هى جذور هذا الفكر البابوى وأين موقع الأمة الإسلامية والشعوب العربية من هذا الفكر؟!

●●●

أغلب الظن أن «شخصية البابا يوحنا بولس الثانى «بتكوينها وجذورها البولندية هى أحد جذور هذا الفكر العالمى الإنسانى ، لقد تخطى عتبة الثمانين ، وأضحى جسداً منهكاً مثقلاً بالآلام ، شيخوخة واضحة تتكىء على عصا تحمل روحاً لم تشخ وعزيمة لم تلن، ورؤية تخترق حواجز الزمن ، لقد قلب صفحات العصور الوسطى وذكر العالم بخطايا هذه العصور التى أطلق عليها عصور الدين والحرب ، بدا كأنه يحمل وزر الحروب الصليبية وما سفكته من دماء على الرمال المقدسة الطهور وما خلفته من تراث ينبض بالمرارة وما أقامته من حواجز نفسية فى وجدان الشعوب الإسلامية والمسيحية الشرقية ، لقد عبر كل هذه الحواجز وأعلن خطايا الكنيسة ونادى بإقامة عالم جديد ، إنه هنا يعبر عن معاناة الإنسان كما عاشها فى

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

القهر الشيوعى لوطنه وتذوق مرارة الاحتلال وشهد بؤس مواطنيه، ودموع الأرامل وأنات الثكالى ، رأى كيف داس الاحتلال الشيوعى تراب وحياة وطنه ، وكيف رأى الخوف فى عيون أطفال هذا الوطن ومحاولة طمس هويته وجنسيته ، عاش فترة الحرب العالمية الثانية وكتب عنها ، عاش حكم ستالين وخلفائه ، وكيف تحولت بولندا إلى سجن كبير وكيف لطخ الملحدون اسم الله وسخروا من الدين ، وشهد موكب اللاجئين إلى الموت من الموت والصامتين هلعاً ، من هنا جاءت شخصية قداسة البابا «شخصية إنسان» عالمى ، يدعو لبشرية موحدة ، يسودها العدل والحرية ، من هنا نفهم تعاطفه مع العالم الثالث ومودته لشعب فلسطين المقهور الأسير، وعلاقته الحميمة بياسر عرفات ، واهتمامه الخاص باللاجئين ومآسيهم ، ومن هنا نفهم لماذا حج إلى سيناء واعتبر مصر أرضا مقدسة وزار الأزهر وحيا رسالته العالمية ، إنه داع للخير والسلام لأنه عرف تماماً ضرر الشر والحرب والعنف .

يأتى بعد ذلك موقع الكنيسة الكاثوليكية فى العالم الذى عمق جنور فكر البابا فى القضايا الإنسانية ، كنيسة منتشرة فى القارات الخمس ودول محض كاثوليكية مثل دول أمريكا اللاتينية وأسبانيا وزيمبابوى ، كنيسة لها مئات الجامعات ومراكز البحث والصحف والمجلات والمؤسسات الإنسانية ، إنها مؤسسة عالمية ، تعطى للبابا رئيسها موقعا عالميا فريدا ومكانة بين الدول ولاسيما أنها تؤثر فى الحياة الفكرية العالمية وتطمح أن تسهم فى تشكيل مستقبل العالم خلال الألف الثالثة للميلاد ، ذلك رغم أن الفاتيكان هو أصغر دولة فى العالم لا تزيد مساحتها على خمسين فداناً أو أقل قليلاً ، واعترفت بها الدول عام ١٩٢٩ ، ولا تملك جيشاً أو

شرطة وإنما بضعة حرس شرف من متطوعى العائلات النبيلة فى سويسرا .

من هذين العنصرين كما أعتقد يستمد البابا قوته المعنوية فى مخاطبة العالم ، وفى محاولة لإرساء القواعد الأخلاقية التى ينادى بها .

●●●

نأتى أخيراً إلى نقطة مهمة وهى أين موقع المسلمين والعالم الإسلامى فى رؤية بابا روما؟

ينبغى القول إن العالم الإسلامى فرض نفسه على الساحة العالمية بحجمه السكانى (مليار نسمة) وبانتشار المسلمين فى القارات الخمس وفى حركات النهضة التى انبعثت فى العالم الإسلامى وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية . ولا يخفى على قداسة البابا أن المسلمين سيشكلون فى نهاية القرن الحادى والعشرين حوالى ٤٠٪ أربعين بالمائة من سكان العالم .. ومن ثم لابد أنهم سيسهمون فى تشكيل مصير العالم فكيف سيمضى بهم الزمن . تلك قضية شغلت بال الكنيسة الكاثوليكية منذ سنوات قليلة وبالدقة منذ سنوات الستينات (عام ١٩٦٤) التى عقد خلالها المجمع الفاتيكانى الثانى وأصدر الوثيقة الرائعة حول الإسلام والمسلمين ومما جاء فى هذه الوثيقة : «تنظر الكنيسة بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الأحد الحى . القيوم . الرحمن القدير . فاطر السموات والأرض والذى كلم البشر . أنهم يجتهدون فى التسليم بكل نفوسهم لأحكام الله وإن خفيت مقاصده . كما سلم الله إبراهيم الذى يفخر الدين الإسلامى بالانتساب إليه . يكرمون المسيح نبياً ويكرمون أمه العذراء مريم ويذكرونها فى خشوع ثم أنهم ينتظرون يوم الدين الذى يجازى الله فيه جميع الناس عندما يبعثون أحياء . من أجل هذا يقدرون الحياة الأخلاقية ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم .

ولئن كان عبر الزمان قد وقعت من المنازعات والعداوات بين المسيحيين وبين المسلمين فان المجمع (البابا – الكرادلة – البطاركة – الأساقفة – علماء من كل لون ومندوبون عن الجامعات والمؤسسات) يهيب بالجميع أن ينسوا الماضى وأن يعملوا باجتهاد صادق سبيلاً للتفاهم فيما بينهم وأن يتماسكوا من أجل جميع الناس على حماية وتعزيز العدالة الاجتماعية والقيم الأخلاقية والسلام والحرية».

لم تكن وثيقة المجمع إلا نقطة انطلاق للعلاقة بين الكنيسة وبين جميع الدول الإسلامية فأنشئت لجان الحوار مع الأزهر . مع السعودية . مع المغرب . وتبادل أعضاء اللجان الزيارة ومضت العلاقات تتوطد بين الكنيسة وبين العالم الإسلامى .

إن رؤية قداسة البابا من خلال رحلاته وخطبه ووثائقه تكشف بجلاء عن أهمية دور

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

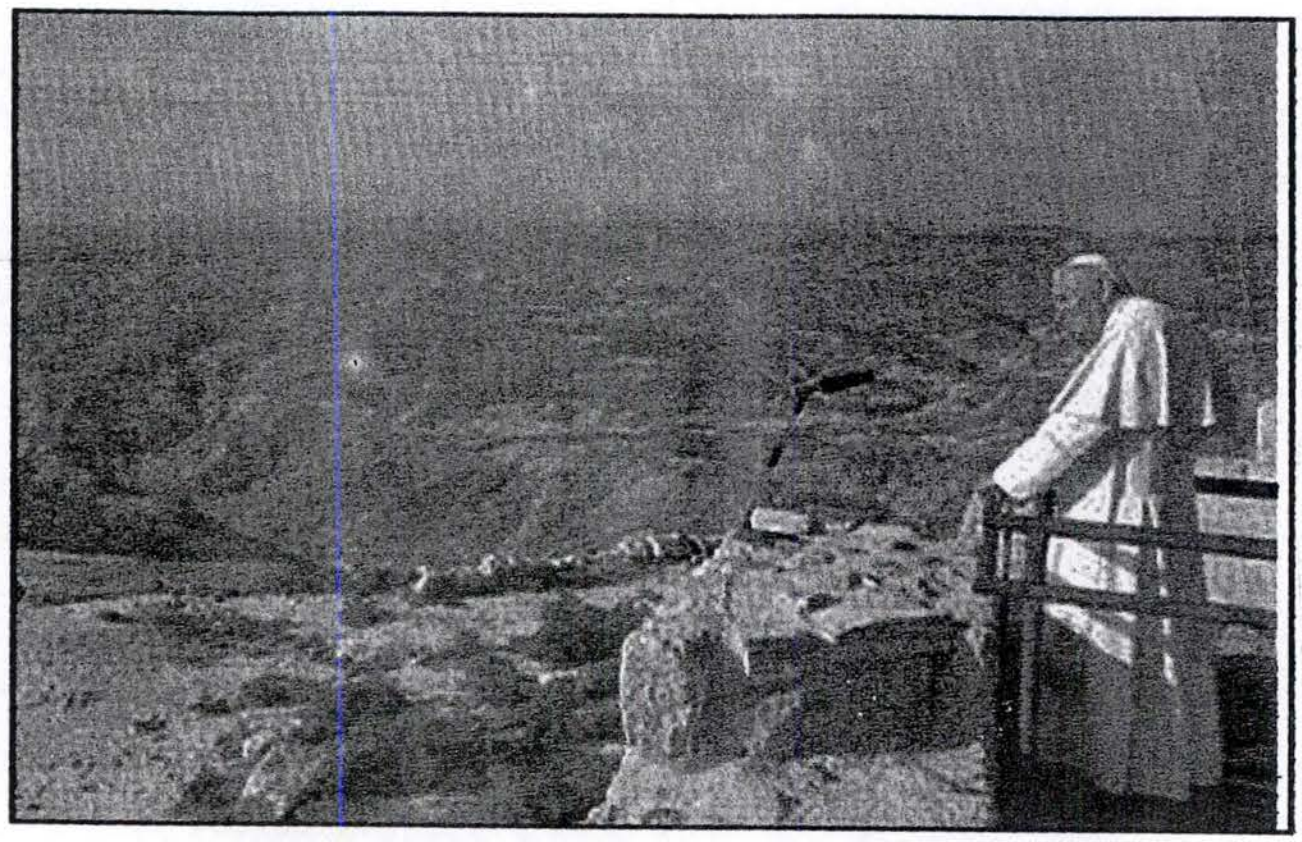

البابا فى موقع تيه موسى .. حلم تحقق بعد ٣٦ سنة

المسلمين فى القرن القادم وخلال الألف الجديدة لقد أعلن البابا اعتذار الكنيسة الغربية عن الحروب الصليبية ولم يكن أول اعتذار فلقد سبقه القديس فرنسيس الأسيزى الذى اقتحم المعارك فى خضم هذه الحروب (١٢١٨ - ١٢٣٨) والتقى بالسلطان الكامل واستطاع أن ينقذ آلاف الأسرى وأن يوارى التراب باحترام الموت آلاف الجثث حتى قال عنه مؤرخ عربى إن لقاءه بالسلطان يشبه كسب أربعين معركة حربية . إن الحب أقوى من كل الأسلحة . وان الاختلاف الدينى والاختلاف الحضارى والتنوع الثقافى ذلك كله لا يوفق بينه إلا خطوات محبة ومودة وتعاون كما تدعو جميع الأديان .

ولذلك جاءت إشارة عابرة فى وثيقة : ذكرى ومصالحة التى ذكرتها فى بداية المقال (بند ٥) اتصالاً وتوثيقاً لرؤية البابا حول أهمية العلاقات المسيحية - الإسلامية) على مستوى العالم كله .

يخشى البعض أن يستغل اليهود عبارات البابا للضغط أو الابتزاز وهم أساتذة فى هذا المجال . غير أن علاقة متوازنة حققها البابا بزيارته لمصر وبزيارته القريبة لفلسطين كما أن الفاتيكان قد أقام علاقات دبلوماسية مع بلدان عربية أخرى مثل ليبيا واليمن وموريتانيا كإعلان عالمى على فتح صفحة جديدة بين الشرق وبين الغرب . إن صراع الحضارات الذى نادى به بعض مفكرى حضارة المتعة أو حضارة الموت كما يطلق عليها قداسة البابا أمر خارج عن التفكير الدينى فالإيمان بالله وبالقيم الروحية هو أساس الحضارة الحقيقية وليس بين المؤمنين بالله وبقيمهم الروحية صراع أو حرب . وانما الصراع الحقيقى هو بين أن تمضى الإنسانية قدما فى بناء مستقبلها على أسس إيمانية وروحية صلبة أو أن تمضى كما يسعى مفكرون ماديون لبناء حضارة عرجاء خالية من النبض الروحى بعيدة عن الله وعن معنى الحياة ومعنى الموت ، تلك هى القضية ينبغى أن تحفظ الإنسانية إيمانها بالله وبالقيم السماوية لتظل إنسانية وإلا دمرت نفسها فرؤية قداسة البابا أن يتضامن المسيحيون والمسلمون للدفاع عن هذه القيم بكل وسائل الدعوة بالحسنى وبالكلمة الطيبة وبالسلوك الإيمانى الملتزم .

إن البابا يدعو العالم الإسلامى ويدعو العالم المسيحى لبناء حضارة إنسانية جديدة محورها الايمان بالله والإيمان بقيمة الإنسان وقيمة الحياة ، وكما يدعو دوماً فلننس الماضى ولننس عصر الحروب الدينية وليذهب العنف إلى غير رجعة وليشرق فجر جديد على إنسانية جديدة يسودها الحب والعدل والمساواة تلك كانت صلاته يوم الأحد ١٢ مارس عام ٢٠٠٠ حين أعلن وثيقة ذكرى ومصالحة .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية